من مؤلفات محمد بن أحمد بن قاسم البوني التي وصلتنا: مختصر شرح «نبذ العجم عن لامية العجم» لجلال بن خضر الحنفي (ت بعد 966 هـ)

الأستاذ.عمر بن دحمان
– جامعة تيزي وزو

يأتي هذا المقال ليميط اللثام عن إحدى مؤلفات محمد بن أحمد بن قاسم البوني، أحد المؤلفين الجزائريين المغمورين ممن لم يصلنا شيء عن مؤلفاته، مقارنة بوالده أحمد بن قاسم البوني (1063- 1139 هـ) الذي ذاع صيته في وقته واشتهر بكثرة التآليف التي جاوزت المائة مؤلف في العلوم المختلفة.

لقد ثبت لدينا بعد بحث طويل أن المؤَلف المشار إليه في عنوان هذا المقال هو الوحيد فيما نعتقد مما وصلنا من تصانيف هذا العالم، وهو لا يتعلق بتأليف أصيل لصاحبه وإنما هو اختصار لأحد شروح «لامية العجم» القصيدة الشهيرة لصاحبها مؤيد الدين الطغرائي. هذه المعلومة التي بدت لنا نادرة توصلنا إليها بعد وقوفنا في المكتبة الوطنية بمصلحة المخطوطات والكتب النادرة على نسخة مخطوطة فريدة واقعة ضمن مجموع وردت في صفحته الأولى قائمة بأسماء التآليف المحتوي عليها، من

بينها نقرأ هذا العنوان الذي يحمل الرقم 6: « شرح الشيخ محمد بن أحمد بن قاسم البوني على نظم لامية العجم للطغرائي» (ينظر اللوحات المرفقة أسفله). لكننا بعد قراءتنا للأسطر الأولى من هذا الشرح تبين لنا أن الأمر لا يتعلق بشرح بالمعنى التام للكلمة، ولكنه مختصر وضعه علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرود[1] لمختصر آخر منسوب لمحمد بن أحمد بن قاسم البوني، إذ نقرأ في خطبة الكتاب المخطوط ما يلي:

«هذا تقييد على قصيدة الإمام المجيد العلامة العميد سيدي الحسين بن علي الطغرائي الموسومة بلامية العجم مختصر من مختصر العلامة السيد محمد بن أحمد بن قاسم البوني الذي اختصره من شرح العلامة النحرير جلال بن خضر الحنفي، رحم الله الجميع».

ونقرأ في آخر النسخة ما يلي: « هذا ما اخترته من المختصر المذكور على يد كاتبه لنفسه ثم لمن أراده الله من بعده: علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرود، كان الله له ولوالديه ولأشياخه ولمن دعا لنا بالرحمة، ضحوة يوم الأحد التاسع والعشرين من رجب الأهب عام أربعة وأربعين ومائة وألف. وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما».

نفهم من مقدمة الكتاب وخاتمته بأن محمد بن أحمد بن قاسم البوني اختصر شرح جلال بن خضر الحنفي، هذا الشرح المختصر الأول لم نقف عليه فيما بحثنا من فهارس الكتب والمكتبات فلعله يكون مفقودا

أو قد يكون في مكان ما لما تصل إليه يد المفهرسين أو الباحثين. ثم جاء المسمى علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرود (أو الجرودي) وأعاد اختصاره مرة ثانية في النسخة التي وصلتنا، وهي نسخة مكتوبة بخط واضعه كما سنوضحه لاحقا.

كما لم يسعفنا بحثنا الطويل في كتب التراجم والأعلام عن ترجمة تخص محمد بن أحمد بن قاسم البوني لكننا بعد الجهد المضني لم نعثر له إلا على بضعة أسطر خصصها له الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، ليس فيها أي ذكر لأي كتاب ألفه هذا العالم لسبب واحد هو عدم عثوره له على مؤلفات، يقول الحفناوي: « محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي المسيتي، من علماء بونة وصلحائها وأحد فضلائها الأعيان. أخذ عن أبيه علامة وقته سيدي أحمد بن قاسم البوني، ولكن لم نعثر له على أثر من المؤلفات، وسيدي قاسم جده قد سارت بعلومه الركبان، وضربت إليه أكباد إبل الطلب»، لينتقل الحفناوي بعدها إلى الحديث عن والده ويترك الابن، ويسرد قائمة مؤلفاته التي تجاوز عددها المائة[2].

نفهم من كلام الحفناوي أن محمدا أقل شهرة من والده ربما بسبب قلة اشتغاله بالتأليف عكس الوالد الذي عثرنا له على ترجمات كثيرة[3]، وعكس الابن الثاني لأحمد البوني: أحمد الزروق الذي كان «أيضا من مشاهير عصره، ولكنه كان أقل تأليفا من والده»[4]، كما اشتهر من هذه الأسرة الجد محمد بن إبراهيم ساسي البوني الذي كان» من أبرز مرابطي

وعلماء القرن الحادي عشر في عنابة ... مسموع القول عند الخاصة والعامة ...لقيمته لدى السكان ولمكانته الدينية»[5] .

ونفهم أيضا من كلام الحفناوي أنه برغم انتماء محمد إلى هذه الأسرة العريقة التي « جمعت بين العلم والصلاح وسيطرت روحيا على عنابة وضواحيها مدة طويلة بلغت القرنيين تقريبا»[6] إلا أنه لم يخلف مؤلفات تذكر، وهذا ما يمنح في نظرنا قيمة كبيرة لهذا المختصر لأنه يعرفنا بإحدى مؤلفات هذا العالم وبالتالي يضيء لنا جانبا من جوانب اهتماماته العلمية، وأنه ترك على الأقل شرحا أدبيا واحدا وإن كان في تأليفه له كلاًّ على شرح آخر، ولعل هذا ما يزيدنا اقتناعا أيضا بأنه لم يكن راغبا في تأليف الكتب لسبب من الأسباب، على خلاف والده وأخيه وجده.

أما المختصِر الثاني (علي بن محمد بن موسى الشريف) فلم نعثر له أيضا عن أي خبر أو ذكر فيما رجعنا إليه من مصادر ومراجع باستثناء ما أمكننا استنتاجه من النسخة المخطوطة التي بين أيدينا، فاسمه هو علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرود كما ورد في آخر النسخة (أو الجرودي كما ورد في مواضع أخرى من المجموع)، ويبدو أنه من طلبة العلم، وربما كان مدرسا في كتّاب أو مسجد لأننا وجدنا في هوامش نسخة المختصر (والمجموع ككل) إشارات من قبيل» قف» التي عادة ما يضعها المدرس كعلامة على انتهاء الدرس، نقول هذا ونحن معتقدين أن النسخة بخط يده، لأنه أشار في آخرها أنه كتبها لنفسه، كما قرأنا لمالك آخر عبارة في أول المجموع الذي ضمنه نسخة المختصر تشير إلى

ملكية الجرود لهذا المجموع (انظر وصف المخطوط فيما سيأتي) ،كما أن إحدى الباحثات[7] عدتها نسخة نادرة . فهل كان صاحب المجموع مدرسا يلقن طلبته شرحا من شروح اللامية وتصانيف أخرى تضمنها المجموع؟ أم أنه كان مجرد طالب علم مولع بنسخ الكتب واقتنائها؟. في كلتا الحالتين يظهر لنا واضع المختصر (الجرود أو الجرودي) مهتما بجمع ما رأى فيه نفعا وفائدة من تآليف في الأدب كشرح لامية الطغرائي وابن الوردي، ومؤلفات في السيرة النبوية وأشعار في المواعظ والمديح النبوي وغير ذلك (أنظر قائمة محتويات المجموع أسفله)، جمع كل هذا على شكل اختيارات ليستفيد منها هو على سبيل الإطلاع أو «التثقيف» وربما الاستعانة بها في تدريسه لتلامذته بما أنه كتبها لنفسه كما صرح بذلك في غير موضع من المجموع.

كما أن صدور بعض الأخطاء منه أثناء النسخ أو في تعليقاته في الهامش تجعلنا نتساءل عن مكانته الثقافية، فقد وجدناه مثلا يشرح لفظة «الدهماء» بأنها اسم للسماء وهي غير ذلك، وكذا تحريف أسماء بعض الأعلام التي ربما دل على جهله بهم مثل التلمساني (عفيف الدين) الشاعر المعروف الذي كتبه (السلماني) ، وابن حجاج حرفه إلى (الحجاج).

هذه بعض الأخطاء التي وقفنا عليها في هذا المختصر وهي قليلة لا نستطيع أن نعدها بحال من الأحوال دليلا على ضعف المستوى العلمي للجرود(ي)، بل ربما دلت قلتها على عكس ذلك، فالنص في جملته على قدر كبير من السلامة والوضوح لولا صغر حجم الخط الذي شكل

عائقا في قراءتنا للنسخة، ولسنا ندري ما الدافع وراء استعانته بهذا الخط الدقيق، فهل هي الرغبة في اقتصاد الورق لندرته أو غلائه في الأسواق في ذلك الزمن؟ أم أن هناك سبب آخر. مهما يكن السبب فإننا نعتقد أن الجرود(ي) أثناء نسخه هذا المجموع لم يكن متقدما في السن إلى الحد الذي يجعل بصره ضعيفا وإلا ما كان ليكتب بهذا الخط الدقيق جدا!.

هذا ما يمكننا استنتاجه عن شخصية الناسخ أو المختصر الثاني لشرح جلال بن خضر الحنفي، ولكننا نتساءل هنا عن الدافع وراء هذا الاهتمام بهذا الشرح، وعن اختصار محمد بن أحمد البوني له أولا ثم اختصار الجرود(ي) له مرة ثانية؟

التعريف بالشرح الأصلي وصاحبه:

اسمه جلال بن خَضِر الحنفي كما ورد في نسخة المختصر الذي بين أيدينا، وكما اطلعنا عليه في نسخة مكتبة جامعة آل سعود المعروضة على موقعها في الانترنت[8]، وكذا عند من عرّف به أو بشرحه كحاجي خليفة والزركلي وكحالة وبروكلمان، لا نعرف عنه سوى أنه « أديب رومي، استقر في المدينة المنورة «[9] كما أخبر الزركلي في حديثه عنه، وقال عنه عمر كحالة: «جلال بن خضر (كان حيا سنة 962 هـ - 1555 م) .... أديب، من آثاره شرح لامية العجم للطغرائي سماه نبذ العجم عن لامية العجم ألفه سنة 962 هـ بالقسطنطينية»[10] وذكر في الهامش مصدر ترجمته الوحيد وهو كشف الظنون لحاجي خليفة.

ولعلنا نستنتج من ترجمتي الزركلي وكحالة الموجزتين أنهما لم يجدا ما يعتمدان عليه في تقصي أخباره، ولعلنا نطمئن إلى أن الشارح لم يكن من المشاهير حتى يلقى عناية أصحاب التراجم، وقد رجعنا إلى بعضهم ممن تناول الحديث عن علماء هذه الفترة التي عاش فيها (القرن العاشر الهجري) فلم نجد له ذكرا.

كما نلاحظ اتفاق المصادر المذكورة على ذكر اسمه واسم والده ومذهبه الديني (الحنفي) لا غير، فتعذر بذلك معرفة نسبه وأصل عائلته، وحتى موطنه على وجه الدقة، لأن قول الزركلي أنه أديب رومي فيه نظر، ذلك أن الزركلي ربما استنتج ذلك من كون الشارح ألف شرحه بالقسطنطينية (عاصمة الروم قبل فتحها) كما صرح في آخر الشرح، غير أن الشارح أضاف عبارة أخرى تشير إلى أنه كان غريبا فيها وهي قوله:» هذا ما سمح به الفكر القاصر من كشف النقاب عن هذه الدرّة الخريدة، وسمح به الخاطر في جمع شرح هذه القصيدة، مع تفرّغ البال، وتوزع الحال، وتفاقم الأحزان بدار الغربة والهوان...»[11] ويقصد بدار الغربة والهوان القسطنطينية التي كان مقيما بها أثناء تأليفه هذا الشرح، كما عثرنا على عبارة أخرى في مقدمة الكتاب تعزز ما قلناه وهي قوله: «فاعْتَذَرْتُ إليه وسَأَلْتُهُ الإِقَالَة، وسَوَّفْتُهُ بلَعَلَّ وعَسَى فيمَا سَأَلَهُ وقَالَه، على أَنَّهُ خَبيرٌ بحَالي وما أُقَاسيه من حَالَة يَا لَهَا من حَالَة، قد تَضَاعَفَت الأَشْجَان، وتَرَادَفَت الأَحْزَان، واشْتَغَلَ الفِكْرُ والبَال، واشْتَعَلَ القَلْبُ بِفِرَاقِ الآل»[12] فهو يعيش بعيدا عن أهله المقيمين -فيما يبدو- بالمدينة

المنورة (طيبة) لأنه ذكر أنه» نزيل طَيْبة الشريفة، والخادم بها قدما للشريعة المعظّمة المنيفة»[13].

لا نستطيع أن نحدد موطن الشارح على وجه الدقة لكن يحتمل أن يكون من بلاد الترك أو العجم، كما يحتمل أن يكون من مكان آخر نجهله الآن، ولكن الثابت أنه نزل طيبة وأقام بها وفيها عمله، لكن مهمةً ما – فيما يبدو–ساقته إلى القسطنطينية وأقام بها فترة ألف خلالها هذا الشرح بطلب من أحد أعيانها، والأقرب أنه كان ضيفا عنده، نفهم هذا من تعريفه له وسوقه لبيتين من الشعر في مدح أهل الضيافة والكرم فقال: «إذ هو من بَيْتِ عِلْمٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ إلى سِمَاكِ الدَّهْمَاء، ومن دَرَجَةِ شَجَرَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ و فَرْعُهَا في السَّمَاء:

ولَمَّا نَزَلْنَا في ظِلاَلِ بُيُوتِهِم أُمِنَّا وَنِلْنَا الخَصْبَ فِي زَمَنٍ مَحْل

وقال آخرُ:

ولاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ ضُيُوفَهُمْ تُلاَمُ بِنِسْيَانِ الأَحِبَّةِ والوَطَن»[14]

أما عن مكانته العلمية فنقول أن وصف الجرود(ي) له بأنه «علامة نحرير» قد يدل على حظوته بمكانة علمية مرموقة كما يحتمل أن يكون الوصف صادرا عن غير معرفة حقيقية بالشارح ولكنه تقدير العلم وأهله. ولكننا نرى أن قوله : «الْتَمَسَ مِنِّي بَعْضُ الفُضَلاء الفِخَام والأُدَبَاءِ الكِرَام من أعيان عُلَماء الرُّوم... أَنْ أَشْرَحَهَا ...»[15] على أنه كان يحظى بالفعل بمكانة علمية جعلت هذا الشخص الذي ينتمي لـ» بَيْتِ عِلْمٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ إلى سِمَاكِ الدَّهْمَاء، ومن دَرَجَةِ شَجَرَةٍ أَصلُهَا ثَابِتٌ و فَرْعُهَا في

السَّمَاء»[16] يقصده ويطلب منه شرحا للقصيدة الشهيرة، بعد أن تيقّن من اقتداره ووثق من تمكنه.

يظهر هذا من خلال اطلاعنا على نسخة الشرح الأصلي، أين يظهر الشارح متمكنا من ناصية اللغة إلى حد بعيد، من خلال أسلوبه السهل وسلاسته وعباراته الواضحة، غير أن الملاحظ عليه استعانته ببعض الزخرفات اللفظية التي عدت احدى سمات هذا العصر حين « أصبح الكاتب أو الشاعر إنما يهمه تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع»[17]، ورغم ذلك فقد وجدنا أسلوب الشارح ولغته في درجة عالية من السهولة والوضوح والعفوية جعلته في منأى عن التكلف الزائـــد.

كما لاحظنا من خلال مادة الكتاب تنوع ثقافته وسعة اطلاعه على كتب التراث المختلفة، يظهر ذلك من خلال كثرة الأشعار والأخبار والآثار والقصص والأمثال والحكم وغيرها وهي مبثوثة في ثنايا الشرح من أوله إلى آخره، كما نلاحظ طغيان الثقافة الدينية لديه من خلال كثرة استشهاده بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأخبار الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين والزهاد والمتصوفة وغيرهم مما شكل أغلب مادة الشرح. و لعل الأمر يرجع إلى البيئة التي يقيم فيها وطبيعة عمله لأنه «نزيل طَيْبة الشريفة، والخادم بها قدما للشريعة المعظّمة المنيفة» مما أضفى على الشرح طابع الوعظ والالتزام بحدود الأخلاق على عكس الصفدي الشارح الأشهر للامية العجم الذي « استرسل في

شجون من الجد والمجون... وطغى الماء في المد من مستهجنات هزله التي لا تليق بقلمه وفضله»[18].

هذا ما أمكننا استخلاصه من النسخة المخطوطة لشرحه ومن المختصر الذي بين أيدينا حول مكانة الشارح وثقافته والذي يهمنا أكثر من أمره هو تمكنه من ناصية اللغة وسعة اطلاعه و أصالة ثقافته وتنوعها، مما سمح له باختيار مادة شرحه وما يناسب منها في كل محطة من محطات شرحه الكثيرة. ولعل هذا ما أغرى محمد البوني والجرود(ي) من بعده على تلخيصه والإفادة منه.

ويبدو أن الحنفي لم يؤلف غير هذا الشرح، إذ لم نعثر في ترجمة الزركلي ورضا كحالـــة له على ذكر لمؤلفات أخرى. ربما لم يكن من المشتغلين بالتأليف أيضا مما أبقاه مغمورا، أو أن مؤلفاته الأخرى ضائعة (؟).

أما عن تاريخ وفاته فهي مجهولة أيضا وحددها الزركلي بـ :» بعد 966هـ – بعد 1559م»، وقال رضا كحالة: « كان حيا سنة 962هـ» وواضح أنهما اعتمدا على تاريخ تأليف الشرح كآخر تاريخ معروف في حياته.

أما عن الفترة التي عاش فيها جلال بن خضر الحنفي فهي القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) في عصر كانت أغلب البلاد الإسلامية خاضعة لحكم العثمانيين. وقد أصاب آداب اللغة العربية في هذا العصر التأخر والانحطاط حتى» أصبحت في أحط أدوارها وندر نبوغ العلماء

المفكرين أو المستنبطين فيها، وأكثر ما كتب في هذا العصر إنما هو من قبيل الشروح والحواشي والتعاليق، وشروح الشروح ونحوها... وكثر التأليف بلا نظام .. وانحط أسلوب الإنشاء..» [19]، وعلى الإجمال فقد انحط الأدب في هذا العصر وقل الاهتمام به لأسباب كثيرة منها سوء الإدارة الذي « أفسد على الناس نياتهم فتشوشت أفكارهم وانصرفوا إلى ما يشغلهم عن تلك المظالم» التي من عواقبها «انحطاط الآداب العامة... وظهر آثار ذلك في آداب اللغة... وكثر السفه والمجون في الكتب وفي الشعر... وكسدت بضاعة الأدب على الإجمال»[20].

هذه هي الصورة العامة التي صارت إليها حال آداب اللغة العربية في هذا العصر أحببنا إيرادها لنوضح الجو العام الذي ألف فيه جلال بن خضر شرحه، وهو عصر لم يكن ليعين على الإبداع في مجالاته المختلفة، وحسبنا أن نشير إلى عبارة الشارح نفسه حين قال في مقدمته: « ... **الْتَمَسْتُ شَرْحًا من شُرُوحِهَا لأَحْذُوَ حَذْوَهُ في كَشْفِ فُتُوحِها، فَسَأَلْتُ عن ذلك جَمًّا غَفيرًا من الأَعْيَانِ والأَخلاَّءِ والإِخْوَانِ، فَلَمْ يُجِبْ عَنهُ أَحَدٌ بِبَيْتِ بَيَانٍ، وكَأَنَّ رُبُوعَ هذا العِلْمِ قد دَرَسَت عليه الدَّارِسَات، وذَرَت رُسُومَه الذَّارِيَات**»[21] .

كما يمكننا أن نستنتج بعض مظاهر حياته الخاصة من خلال شرحه- أو من خلال هذا المختصر الذي بين أيدينا- فنقول أنه لم يكن ميسور الحال لأن» عبارته ضيقة، والفكرة بلباس العجز متخنقة، والزمان قد كاده بسهام أوتاره ورماه بأنكاده».

وحينما طُلب منه أن يشرح هذه القصيدة اعتذر من الطالب واشتكى قائلا: « فاعتذرت إليه وسألته الإقالة، وسوفته بلعل وعسى فيما سأله وقاله، على أنه خبير بحالي وما أقاسيه من حالة يا لها من حالة، قد تضاعفت الأشجان، وترادفت الأحزان، واشتغل الفكر والبال، واشتعل القلب بفراق الآل»[22].

وقال في خاتمة الشرح: « هذا ما سمح به الفكر القاصر من كشف النقاب عن هذه الدرّة الخريدة، وسمح به الخاطر في جمع شرح هذه القصيدة، مع تفرّغ البال، وتوزع الحال، وتفاقم الأحزان بدار الغربة والهوان، وترادف محن أورثت الطبع ملالا، والفكرة كلالا...»[23].

نفهم مما سبق أن الشارح ألف شرحه في ضيق من الحال من أثر الغربة والبعد عن الأهل ومقر الإقامة والاستقرار، ويحتمل من أمور أخرى كالفقر مثلا (؟).

أما عن توثيق عنوان الشرح الأصلي فوجدنا اختلافا يسيرا بينه وبين ما بين أيدينا من مختصر له، إذ ورد في نسخة مكتبة جامعة آل سعود كما يلي: « نبذ العَجَم على لامية العَجَم» (الورقة 4ظ) أما ما هو مثبت في المختصر فهو «نبذ العجم عن لامية العجم»، وهو العنوان نفسه الذي أورده حاجي خليفة في قوله: « شرح جلال بن خضر الحنفي، ألفه بقسطنطينية في محرم سنة 962 أوله: حمدا لمن هدانا بأوضح تبيان، سمّاه نبذ العجم عن لامية العجم، وهو شرح مفيد متوسط أكبر من شرح أبي جمعة بقليل»[24]، وكما أخبر بروكلمان في تاريخه[25] ، وخير الدين

الزركلي في الأعلام أيضا. فلعل ما ورد في نسخة مكتبة جامعة آل سعود خطأ من الناسخ لأن المعنى اللغوي للعنوان هو نبذ العجَم (نوى التمر) عن لامية العجم وليس عليها، فكأن الشارح يخلصها بشرحه لها مما لا فائدة فيه ويبقي على المفيد والمستساغ منها.

يوجد من شرح الحنفي على لامية العجم نسختان مخطوطتان في مكتبات أوربا، الأولى في كمبرج تحت رقم (1057) والأخرى (ناقصة) في المتحف البريطاني تحت رقم (3164)[26]، إضافة إلى نسخة مكتبة جامعة آل سعود المحفوظة تحت رقم 4585 وهي معروضة في موقع الجامعة على شكل لوحات مصورة.

وبخصوص تاريخ تأليفه فيبدو أن ثمة اختلاف أيضا إذ وردت سنة 962هـ في ترجمة حاجي خليفة للحنفي، وسنة 966 هـ كما ذكر بروكلمان والزركلي، وكما هو مثبت في آخر نسختنا من هذا المختصر، وفي نسخة مكتبة جامعة آل سعود أيضا، ولم نعرف سببا لهذا الاختلاف، ولعل الأمر يتعلق بأخطاء النسخ أو بأمور أخرى.

وصف مختصر الشرح في نسخته المخطوطة:

ننتقل الآن بعد عرضنا الموجز للشرح الأصلي لصاحبه جلال بن خضر الحنفي، إلى مختصَره وواضعه الأول (محمد بن أحمد بن قاسم البوني) والمختصِر الثاني (الجرودي)، هذا الأخير قدم وصفا للمختصَر في مقدمته القصيرة بقوله: «هذا تقييد على قصيدة الإمام المجيد ...سيدي الحسين

بن علي الطغرائي الموسومة بلامية العجم مختصر من مختصر العلامة السيد محمد بن أحمد بن قاسم البوني الذي اختصره من شرح العلامة النحرير جلال بن خضر الحنفي، رحم الله الجميع».

وقال في آخره : « هذا ما اخترته من المختصر المذكور على يد كاتبه لنفسه ثم لمن أراده الله من بعده علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرود ، ... ضحوة يوم الأحد التاسع والعشرين من رجب الأهب عام أربعة وأربعين ومائة وألف».

فهو إذن مختصر من مختصر، وربما يتبادر إلى الذهن من خلال قوله « هذا ما اخترته..» أنه نقل شرح بعض الأبيات دون بعض، لكن الذي وجدناه هو شرح لجميع أبيات القصيدة وعددها تسعة وخمسون بيتا، مع تصرف المختصر بالحذف في متن الشرح كما سنوضحه فيما سيأتي.

أما المختصَر الأول الذي نقل عنه فيبدو أنه مفقود كما أسلفنا، إذ لم نهتد إليه فيما رجعنا إليه من فهارس، أما صاحبه محمد بن أحمد بن قاسم البوني فلم نجد له ترجمة إلا عند أبي القاسم الحفناوي كما سبقت الإشارة.

ليس هناك تحديد واضح لمنهج الاختصار في مقدمة الكتاب، لكن يمكن استنتاجه من خلال قراءتنا للنسخة، وعلى العموم فإن الظاهر من خلال مقارنته بالشرح الأصل أن المختصِر لم يكن يتصرف في الشرح إلا بحذف ما كان يرى فيه إمكانية الاستغناء عنه.

فمن ذلك الإعراب إذ لا نجد إلا إعرابا لبضعة أبيات وتحديدا

الأبيات:1، 2، 4، 5، 15، 18 وكان الشارح قد صرح في مقدمته بإعراب جميع الأبيات.

أما المحذوفات الأخرى التي صرح بحذفها ودعوة القارئ أن ينظرها في الأصل فنجملها في هذه النقاط:

- « وهنا حكاية الوَلِيدُ بن يَزِيد بن عبد المَلِك مع ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد المَلِك حين أراد نزع الملك من يده، فالتقى الوليد مع أبي سَعِيد الأَنْصَارِي ونصحه إلى أن ظهر على ابن عمّه، تركتها لطولها وإن أردتها فانظرها في الأصل».

- " وهنا حكاية الأمين محمّد بن هارون الرّشيد لما عزم على انتزاع الخلافة من أخيه المأمون فانظرها في الأصل إن شئت".

- " وهنا نصائح للأمراء وحكايات فانظرها في الأصل"

- " وهنا حكاية أردشير مع السّاطرون، انظرها في الأصل"

- "ولو: حرف شرط، والمشهور أنّها لانتفاء الثّاني بانتفاء الأوّل، تقول: [لو] جئتني لأكرمتك، فقد علّقت حصول الإكرام في الماضي بحصول مجيء مقدّر فيه فيلزم انتفاؤهما معا، وانتفاء الإكرام مسبّب لانتفاء المجيء في زعم المتكلم وفيه كلام طويل انظره في أصل أصله".

- "وهنا حكاية انظرها في الأصل"

- « وانظر حكاية الإسكندر اليوناني سُجن فصار ملك الصّين في أصله، مع حكاية عمرو بن العاص حين التقائه مع الأرطيون المقدّم على عسكر الرّوم، ففيهما آداب.»

- " وانظر حكاية دارا ملك الفرس مع الإسكندر اليوناني وما جرى بينها في الأصل"

- " وانظر حكاية سعد بن أبي وقاص مع حرقة بنت النعمان في الأصل ..."

- " وحكاية السموأل بن عاديا مع امرئ القيس انظرها في الأصل".

- «وهنا حكاية جيّدة تناسب ما نقدّم فانظرها في الأصل».

وواضح أن إشارته إلى الأصل هنا يعني بها مختصر البوني الذي ينقل عنه، وأصل الأصل هو شرح جلال بن خضر الحنفي.

وصف المخطوطة:

توجد النسخة ضمن مجموع محفوظ في المكتبة الوطنية الجزائرية- مصلحة المخطوطات- تحت رقم 2266. يتكون المجموع من عدة كراريس غير مجلدة أو أن غلافها الخارجي ممزق وضائع كما يظهر من بعض أثاره.

نقرأ في الورقة الأولى للمجموع العبارة التالية: « مجموع يشتمل على عدد 16 ستة عشر[27] مجاميع من المؤلفات والرسائل و القصائد وهي مبينة الأسماء بورقة على ظهره» ، والعبارة مكتوبة بخط مختلف عن خط ناسخ المجموع، فلعلها لمالك آخر.

ونقرأ في أعلى الورقة (2 و) في الزاوية اليسرى: «هذا كتاب الجرودي

هو عندي عارية» مكتوبة بخط مختلف لعلها لمستعير الكتاب من الجرودي وهو المسمى أحمد بن القبطان، بدليل ما عثرنا عليه من تصريح لمالك آخر في عبارة أخرى يبين فيها أن المالك الحقيقي للكتاب هو الجرودي بقوله: « هذا الكتاب ليس هو ملك للسيد أحمد بن القبطان بدليل ماهو مقيد بخط يده أعلاه [يقصد عبارة «هذا كتاب الجرودي هو عندي عارية» التي كتبها أحمد بن القبطان] وبيان أسماء ما فيه من عدد المؤلفات عدة قواعد مسائل من فنون مختلفة للشيخ محمد بن إبراهيم الشريف ألفها لسلطان تلمسان، رسالة للشيخ أحمد بن سعيد بن محمد المرغيتي السنوسي في السيرة النبوية» ويتوقف هنا دون إتمام القائمة، ولعله آثر إرجاءها للورقة الموالية حيث نقرأ قائمة بأسماء هذه المؤلفات بالخط نفسه أسبقها بتصريح مفاده أن الجرودي هو من أعار هذا المجموع للمدعو أحمد بن القبطان، حيث نقرأ في الورقة (3 و) ما يلي:

« بيان أسماء التآليف المحتوي عليها هذا المجموع المستعار للجرودي عند المرحوم السيد أحمد بن القبطان»، كذا وردت العبارة وبعدها تأتي قائمة التآليف المحتوي عليها المجموع كاملة مرقمة كما يلي:

1 – عدة قواعد مسائل من فنون مختلفة للشيخ محمد بن إبراهيم الشريف ألفها لسلطان تلمسان أبي عنان.

2 – رسالة للشيخ أحمد بن سعيد بن محمد المرغيتي السنوسي في السيرة النبوية.

3 – شرح لامية ابن الوردي للشيخ عبد الوهاب العمري الخطيب.

4 – منظومة الشيخ محمد بن موسى الكلاعي في الوصايا والمواعظ.

5 – منظومة الإمام الغزي في المديح المحمدي (العبارة مشطوبة بقلم الرصاص وبإزائها عبارة: المسماة بالهمزية).

6- شرح الشيخ محمد بن أحمد بن قاسم البوني على نظم لامية العجم للطغرائي.

7- رسالة حسن المقصد في أحكام عمل مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، للسيوطي.

8 – تخميس الشيخ أحمد بن محمد الدمشقي على نظم بردة البوصيري.

9- قصيدة الإمام البكري.

10 – قصيدة سيدي أبي مدين الغوث.

11 – قصيدة أخرى.

12 – القصيدة التائية للشيخ مولانا عبد القادر الكيلاني [كذا وفي متن المجموع الحلاني، لعله الجيلاني؟]

13 – قصيدة أخرى له أيضا.

14 [كذا] – منظومة الشيخ أبي التقى في المديح النبوي.

15- نظم المرادية للشيخ سيدي إبراهيم التازي الوهراني.

و بإزاء هذه العناوين نجد أرقام صفحاتها في المجموع مكتوبة بقلم الرصاص (بأرقام عربية) لعلها لأحد عمال المكتبة من المفهرسين، وتحت هذه القائمة نقرأ هذه الإشارة بالقلم نفسه:

" قف

قصيدة سيدي أبي مدين الغوث ورقة 34

دعاء الإمام الجوني ورقة 91 v° "

وهناك دليل آخر على ملكية الجرودي لهذا المجموع وأنه الناسخ له بخطه، حيث نقرأ في آخر شرح لامية ابن الوردي: " كمل بحمد الله تعالى... على يد العبد الفقير...علي بن محمد بن موسى الملقب بالجرودي الشريف ... كتبه بيده الفانية لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده..."[28]، وربما كان هذا دليلا أيضا على فرادة نسخة المجموع ككل وضمنه نسخة المختصر.

قرأنا في قائمة محتويات المجموع (انظر رقم 6 أعلاه) عنوان النسخة كما يلي: « شرح الشيخ محمد بن أحمد البوني على نظم لامية العجم للطغرائي»، وهذا العنوان لا يطابق مضمون النسخة كما سبقت الإشارة، لذلك يمكن استبداله بعنوان آخر وهو: [مختصر « نبذ العجم عن لامية العجم» لجلال بن خضر الحنفي، وضعه المدعو علي بن محمد بن موسى الشريف الملقب بالجرودي] باعتبار ما هو مثبت في أول المختصر وآخره، كما أننا نميل إلى الاعتقاد أن الجرودي لم يعنون مختصره هذا وما هو مثبت في أول المجموع من عمل غيره لاختلاف الخط والمداد.

أما تاريخ النسخ فهو ضحوة يوم الأحد 29 رجب الفرد عام 1144هـ (1731م) كما هو مثبت في آخر المختصر.

عدد أوراق النسخة 18 ورقة من ورقة:92 ظهر (نرمز لها 92ظ) إلى ورقة: 110 وجه (110و).

مساحة الصفحة: 215× 150 مم.

عدد الأسطر: مختلف، بين 28 إلى 46 سطرا.

ونذكر بأن النسخة مكتوبة بخط دقيق جدا ولا يوجد فراغ بين الأسطر مما صعب كثيرا في قراءتها (أنظر اللوحات المرفقة).

الكتابة بخط مغربي بمداد أسود وأحمر. تحمل الكتابة بعض الضبط خاصة عندما يتعلق الأمر بأبيات القصيدة المكتوبة بخط غامق وبعضها بمداد أحمر في وسط السطر تمييزا لها عن غيرها.

نقرأ أيضا في الهوامش بعض التعليقات والتعقيبات والإشارات بخط الناسخ، وهي قليلة.

أما الرسم فيتميز بما يتميز به الخط المغربي عموما، لكننا نشير بصفة خاصة إلى:

- حذف الهمزة الأخيرة في ألفاظ من مثل (الوزرا) و(الثنا) و(الرجا) وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أن هذه السمة ليست عامة إذ نجد إثبات الهمزة في ألفاظ أخرى.
- إطلاق ألف « لكن» لتصبح (لاكن).
- زيادة ألف في آخر بعض الأفعال المنتهية بواو ك (أحذوا).
- فتح التاء المربوطة كقوله (المُدارات).
- طريقة رسم الألف في آخر الأسماء ك (العدا) و(الندا) ...

- كتابة الهمزة على النبرة في بعض الألفاظ ك : (نئا)- أي نأى- و(سئامة)..

هذا ما يمكننا عرضه في هذا الحيز الذي حاولنا من خلاله التعريف بإحدى مؤلفات محمد بن أحمد بن قاسم البوني التي وصلنا خبر عنها دون غيرها، وهي إشارة لم نجد لها ذكرا في أي مصدر أو مرجع آخر مما وقفنا عليه.

أخيرا نختم هذا المقال بعرض لوحات عن النسخة المخطوطة للمختصر كما صورت عن نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي تشمل:

- الصفحات الثلاثة الأولى للمجموع عليها تمليكات وتعليقات وقائمة بمحتويات المجموع.

- الصفحة الأولى من نسخة المختصر.

لوحة (1)

2266
BIBLIOTHEQUE
ALGER
NATIONALE
337

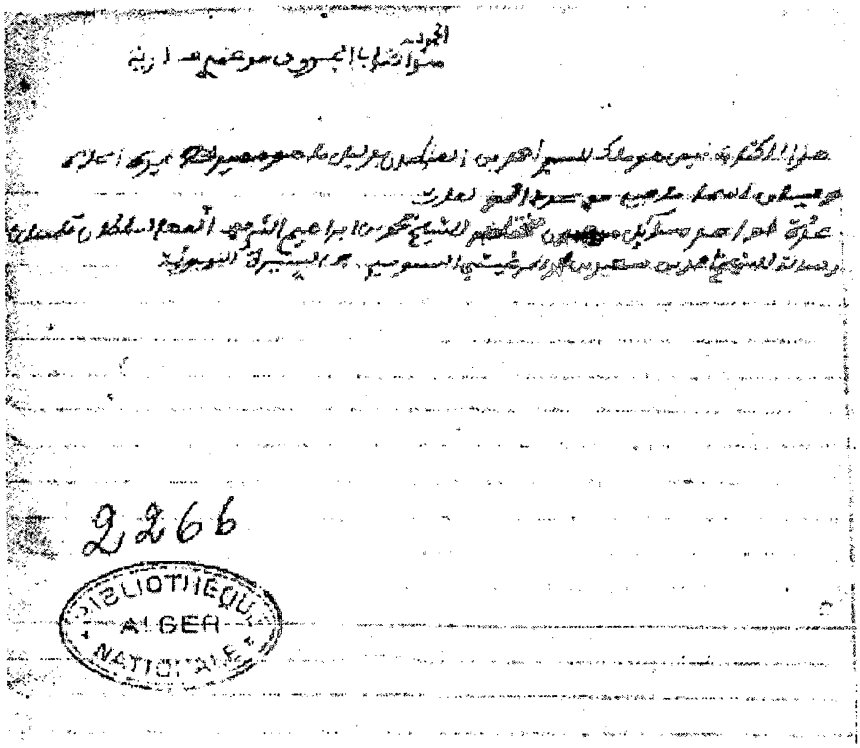

2266
BIBLIOTHEQUE
ALGER
NATIONALE

بيان اسماء المؤلفات المجتمع عليها اصل المجموع المستعمل للمعروض
عند المرحوم الشيخ احمد بن العطار

عشرة مواعد مسكية من متون مختلفة للشيخ محمد بن ابراهيم الشريف
العطار لسلطان تلمسان ابي عنان سنة 21-
رسالة للشيخ احمد بن محمد المرغيتي السجوماسي في السيرة للشيخ
شرح لامية ابن الوردي للشيخ عبد الوهاب الفاسي الشهير
مختصر الشيخ محمد بن موسى الكلاعي في الفرائض والمواريث
مختصر في علم المنطق في المرتبة المتوسطة
شرح الشيخ محمد بن احمد بن عاصم الموقع على نظم لامية العجم للطغرائي
رسالة في حل المقصور والممدود وامثلة كل منهما
التحفيس الشيخ محمد بن احمد بن محمد الوشقي على نظم بردة البوصيري
قصيدة الامام البكري
قصيدة لسيدي ابي مدين الغوث
قصيدة اخرى
القصيدة التائية للشيخ مولانا عبد العزيز الكوماني
قصيدة اخرى لبعض الفضلاء
مختصر الشيخ ابي الشفاء الدرعي الشهير
تحفة الزاوية للشيخ عبد الرحيم القناوي المصري

حسين بن سعيد العزيزي

الهوامش:

1 – ورد في مواضع أخرى من المجموع بزيادة ياء النسبة في آخره "الجرودي" فلعلها سقطت سهوا في نسخة المختصر. و لم نهتد لسبب إطلاق هذا اللقب عليه، مع الإشارة إلى أن "الجارود" اسم معروف عند العرب..

2 – راجع: أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، موفم للنشر– الجزائر، 1991م: 2/ 376.

3– راجع مثلا: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1 دار الغرب الإسلامي– بيروت، 1998م : 2/60. وانظر بحث فتيحة بونفيخة: **الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير في علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر، 1998– 1999م:2/ 414 مع الهوامش.

4 – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي** 2/ 62

5 – نفسه: 2/ 61

6 – نفسه: 2/ 64

7 – فتيحة بونفيخة: **الإنتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية** 2/ 420.

8 – راجع الرابط: http://makhtota.ksu.edu.sa/makhtota/4954/1

9 – خير الدين الزركلي: **الأعلام**، ط11 دار العلم للملايين– بيروت: 2/ 132

10 – عمر كحالة: **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية** ، مكتبة المثنى – بيروت و دار إحياء التراث العربي بيروت : 3/ 107

11– ينظر مخطوطة مكتبة آل سعود: الورقة 125 ظ

12– المصدر نفسه: الورقة 5 ظ

13– المصدر نفسه: الورقة 125 ظ

14– المصدر نفسه: الورقة 2 و

15– المصدر نفسه: الورقة نفسها

16- المصدر نفسه: الورقة نفسها

17- جرجي زيدان: **تاريخ آداب اللغة العربية**، موفم للنشر- الجزائر، 1993م: 3/ 496

18 - وردت العبارة في مقدمة شرح الحضرمي، ينظر: على جواد الطاهر: **الطغرائي حياته شعره لاميته**، مكتبة النهضة- بغداد، 1963م، ص 120.

19 - جرجي زيدان: **تاريخ آداب اللغة العربية** 3/ 494

20 - المرجع نفسه: 3/ 495

21- مخطوطة مكتبة جامعة آل سعود: الورقة 6 ظ

22 - المصدر نفسه: الورقة 5 ظ

23 - المصدر نفسه: الورقة 125 ظ

24 - حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، 2/ 1538، ويقصد بأبي جمعة: سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي، واسم شرحه « إيضاح المبهم من لامية العجم» منه نسخ مخطوطة، وقد حققه الطالب مخلوفي يونس، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2003م.

25 - كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: رمضان عبد التواب، ط3 دار المعارف- مصر: 5/ 9.

26 - علي جواد الطاهر: **الطغرائي حياته شعره لاميته**، ص 121.

27 - نقرأ فوقها بنفس الخط: "عدد ١٥" على سبيل التصحيح، وهو الأصح لأنه وقع خطأ في الترقيم. ونشير إلى أن الأرقام مكتوبة بالصيغة الهندية كما أثبتناه.

28 - المجموع: الورقة 79 ظ